8. Cürcânî, et-Ta'rifât, «Kebîre» md.;
9. Ebü'l-Hüseyin Muhammed b. Ahmed el-Malatî, et-Tenbîh ve r-Red, thk., M. Zahid el-Kevserî, Beyrut 1968, 53;
10. el-Bağdâdî, Abdülkâhir b. Tahir b. Muhammed (429/1037), Mezhepler Arasındaki Farklar, Çev., Ethem Ruhi Fığlalı, Ankara, 1991, 74-81;
11. el-Eş'arî, Ebû Hasan Ali b. İsmail (330/936), Makâlâtü'l-İslâmiyyîn ve İhtilâfü'l-Musallîn, thk.: Helmut Ritter, Wiesbaden 1980, 86;
12. el-Kadî, Ebü'l-Hasen Abdülcebbâr b. Ahmed, Şerhu'l-Usûli'l-Hamse, nşr. Ahmed Ebû Hâşim-Abdülkerîm Osmân, Kâhire: Mektebetu Vehbe, 1988, 657-660;
13. eş-Şehristânî, Ebî Feth Muhammed b. Abdilkerim (548/1153), el-Milel ve'n-Nihal, Beyrut 1993, I/132;
14. Fığlalı, Ethem Ruhi, İbâdiyye'nin Doğuşu ve Görüşleri, Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yay., 1983, 141.
15. Harun Yıldız, "Haricilik", İslam Mezhepleri Tarihi, edit. Mehmet Saffet Sarıkaya-Mehmet Ümit, Ankara, Nobel Yayınları, 2020, 44-49.
16. İbn Mâce, Ebû Abdillâh Muhammed b. Yezîd el-Kazvinî, es-Sünen, İstanbul: Çağrı Yayınları, 1992, "Sıfatü'l-Kıyâme" 11;
17. Kutlu, Sönmez, Türklerin İslâmlaşma Sürecinde Mürcie ve Tesirleri, TDV Yayınları, Ankara 2000, 158-160.
18. Mâturîdî, Te'vîlâtü'l-Kur'ân, thk.: Bekir Topaloğlu, Mizan Yayınları, V, 284; XI, 281;
19. Mâturîdî, Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi, trc. Bekir Topaloğlu, Ankara 2002, 429.
20. Mâturîdî, Kitâbü't-Tevhîd, thk., Bekir Topaloğlu-Muhammed Aruçi, TDV Yayınları, Ankara 2003, 532;
21. Mâturîdî, Te'vîlâtü'l-Kur'ân Tercümesi, IV, 230;
22. Müslim, Ebü'l-Hüseyn el-Kuşeyrî, es-Sahîh, Çağrı Yayınları, İstanbul 1992, «İlim», 15-16, «Zekât», 69;
23. Rabi b. Habîb, el-Camiu s-Sahîh, thk., Ebû yâkub Yusuf b. İbrahim, nşr., Mektebetü's-Sekâfeti'd-Diniyye, trz., 16-17.
24. Râgıb el-İsfahâni, el-Müfredât, «kbr» md.;
25. TDV İslâm Ansiklopedisi (DIA), İstanbul. 2006
26. Yıldız, Harun, "Hâricîlik Düşüncesinin Gelişimi", Ondokuz Mayıs Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 11, (1999), 264.

عواد محمود عواد سالم

أستاذ العقيدة المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر

العقيدة الماتريدية... استقامة المنهج وصفاء المذهب

МОТУРИДИЙЛИК ТАЪЛИМОТИ - ТЎҒРИ МАНҲАЖ ВА СОФ МАЗҲАБ

THE DOCTRINE OF MATURIDIYYA IS THE TRUE WAY AND PURE SECT

Key words: *Ahl as-Sunnah wa'l-Jama'ah, Maturidiyyah, Ash'ariyyah, Firqa, Wasatiyyah, Takfir, The Quality of Takwin, Controversy, Human Verbs, Prophethood.*

Калит сўзлар: *Аҳли сунна вал жамоа, мотуридийлик, ашъарийлик, фирқа, васатия, такфир, таквин сифати, ихтилоф, инсон феъллари, нубувват.*

Ключевые слова: *Kharijitizm, Imam Maturidî, Murtakib-i Kabira and Sin.*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: ففي هذه المقالة الموجزة عن المنهج الماتريدي، أركز على العناصر التالية:

أولًا: الماتريدية وأهم سماتهم الفكرية:

تعود نسبة السادة الماتريدية إلى إمام الهدى، أبي منصور، محمد بن محمد بن محمود، الحنفي، السمرقندي، الماتريدي، الذي ولد ونشأ بـ(ماتريد)، وهي من قرى سمرقند، إحدى مدن جمهورية أوزباكستان، وسمرقند وما جاورها كانت معروفة قديمًا بـ(بلاد ما وراء النهر).

وأما عن السادة الماتريدية: فهم من أهم وأعدل الفرق الكلامية، تعود أصول مقالاتهم إلى الإمام أبي حنيفة، يقول الإمام أبو اليسر البزدوي:» ونحن نتبع أبا حنيفة، فإنه إمامنا وقدوتنا في الأصول والفروع» [٤:٦١].

وفرقة الماتريدية أحد فرق أهل السنة، أصحاب المنهج الوسط، وهم ـ مع إخوانهم من السادة الأشعرية ـ ضمن الكتيبة الدفاعية التي وقفت بالمرصاد لكل طاعن وناكب عن الصراط المستقيم، يقول

ISSN 2181-1881

Ушбу мақолада Имом Мотуридий ва мотуридийлик таълимоти, мотуридийларнинг аҳли сунна вал жамоага мансублиги, уларнинг усул ва фуруъда Абу Ҳанифага эргашишлари, мотуридийликнинг мўътадил таълимот экани ҳақида қисқача сўз юритилган. Унда мазкур ақидавий таълимотнинг асосий манбаси ақл ва насс эканига урғу берилган. Мотуридийларнинг баъзи ўзига хос қарашлари, хусусан, уларнинг такфир, қадар, инсон феъллари каби масалалардаги ёндашувлари баён қилинган.

Шунингдек, мақолада ақида илмидаги муҳим масалалардан бири, яъни таквин сифати хусусида мотуридийлик қарашлари алоҳида ёритилган ва бу борада ашъарийлар билан фарқли жиҳатлар кўрсатиб берилган.

The article briefly discusses Imam Maturidi and the teachings of Maturidi, the belonging of the Maturidis to the Ahl as-Sunnah wa'l-Jama'ah, their adherence to Abu Hanifa in their usul (roots) and furu' (branches) and the fact that Maturidi is a moderate doctrine. It emphasizes that the main source of this doctrine is aql (human intellect) and the Qur'anic text (nass). Some specific views of the Maturidis, in particular their approaches to issues such as takfir (accusation of apostasy), qadar (predestination), human verbs are described.

The article also highlights one of the most important issues in the science of 'aqeedah, namely, the views of the Maturidis on the quality of takwin (Creation) and points out the differences with the Ash'arites in this regard.

يتناول هذا المقال مؤسس المدرسة الماتريدية، الإمام الماتريدي ومدرسته، وهي التي تتبع أبي حنيفة في الأصول والفروع وعن تعاليمه المعتدلة. وفيها سلط الضوء على أن المصدر الأساسي للعقيدة الماتريدية هما النقل والعقل معا. كما تناول آراء الإمام الماتريدي وأتباعه في مواضيع «التكفير»، و«القدر»، و«أفعال الإنسان» و غيرها.

كما تناول في المقال رأي الماتريدية فيما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى، مثل «التكوين»، كما بين بعض الفروق بين الأشعرية والماتريدية فيما تناوله من مسائل.

الإمام الزَّبِيدِي: « وليعلم أن كلا من الإمامين: أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي لم يبدعا رأيًا، ولم يشتقا مذهبًا، وإنما هما مقرران لمذهب السلف مناضلان عما كان عليه أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فصار المقتدي بهما يُسمى أشعريًا وماتريديًا»(٢).

وليس بين المنهجين خلافٌ إلا في مسائل فرعية، كتلك التي تكون بين المدرسة الواحدة، يقول أبو اليسر البزدوي الماتريدي ـ بعد بيان وجوه وسطية السادة الماتريدية ـ :»إن مذهبنا هو المذهب الوسط ليس بيننا وبين الأشعري وأصحابه خلاف إلا في مسائل معدودة»[٤:٥٢٠].

ويتميز المنهج العقدي الماتريدي بسمات توضع في ميزان فضله منها:

أ ـ الوسطية: فقد كانت وسطية المذهب الماتريدي من أهم العوامل التي ساعدت علي انتشاره؛ فهو منهج وسط بين منهجين متقابلين:

أولهما: آوى إلي العقل، واعتمد عليه في كل شيء، واتخذه سبيلًا لفهم كل شيء إيمانًا من أتباعه بقدرة العقل علي إدراك كل شيء، وهذا هو منهج المعتزلة [٧:٣٢١].

ثانيهما: آمن أصحابه بالنص الشرعي إيمانًا كاملًا، وحملوا النصوص علي ظواهرها وحقائقها اللغوية، وقد أداهم مذهبهم هذا إلي ما يتنافى مع الكمال الإلهي [٢١:٢٢].

ب ـ اتباع منهج السلف الصالح: لم تكن العقيدة الماتريدية عقيدة مبتدعة مخترعة، وإنما هي ترجمة للعقيدة التي كان عليها سلف الأمة، وامتداد لها؛ فإن الأستاذ أبا منصور وأصحابه لم يبدعوا رأيًا، ولم يؤسسوا مذهبًا مخترعًا، وإنما أخذوا المذاهب المروية عن السلف الصالح، ودافعوا عنها، ودعموها بأوضح البراهين، وكل ما فعله الماتريدي وأتباعه هو صياغة مذهب عقدي، ينصر فيه النصوص بدلالات العقول [٤٢:١].

ج ـ اشتمال عقيدة الماتريدية على علاج للمشكلات الفكرية: اشتملت العقيدة الماتريدية على علاج لمشكلات عايشها أئمتهم، ومثل هذه المشكلات موجودة في عصرنا وبالتالي يمكننا الإفادة من المنهج الماتريدي في حل مشكلاتنا الفكرية المعاصرة، ومنها ما يل :

(١) مشكلة التكفير: فقد وضعت عقيدة أهل السنة حلًا لمشكلة التكفير قديمًا وحديثًا من خلال التأكيد على أن الخلاف الواقع بين المسلمين لا ينزع عنهم وصف الإسلام، ولا يؤدي بهم إلى تفسيق، أو تكفير، أو تبديع.

يقول الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين): «اختلف الناس بعد نبيهم في أشياء ضلل فيها بعضهم بعضًا، وتبرأ بعضهم من بعض، فصاروا فرقًا متباينين، وأحزابًا متشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم، ويشتمل عليهم» [٣٢].

وقد سلك أئمة الماتريدية نفس المنهج الذي سلكه الأشعري وأصحابه؛ فقد ذكر الملا علي القاري إجماع أهل السنة على الإمساك عن التكفير، فقال: «إن جمهور المتكلمين والفقهاء على أنه لا يُكَفَّرُ أحدٌ من أهل القبلة» [٥١:٤٥١].

ويمكننا في العصر الحاضر الإفادة من هذا المنهج الرشيد في الحد

E-ISSN 2181-189X

من ظاهرة التكفير التي طالت نارها كل مخالف، وجازف بها كل من هب ودب، ولم يتورع المجازف بها من تكفيرعامة المسلمين وخاصتهم.

٢. مشكلة الجبر والقدر: تلك المشكلة التى أرقت الإنسان منذ فجر التاريخ، واستعصت على العقول، فكانت من أغمض المسائل وأعصاها قبولًا للحلول المرضية، فقد وقف في هذه المشكلة كلٌ من الجبرية والمعتزلة على طرفي نقيض: فجعلت الجبرية الإنسان مُسَيرًا مطلقًا، ليس له كسب في أفعاله انطلاقًا من استقلالية الله بالخلق، بينما جعل المعتزلة الإنسان مخيرًا مطلقًا، خالقًا لأفعال نفسه بقدرة أودعها الله فيه، انطلاقًا من العدل الإلهي [٣٢٣:٣١].

وبين هذين الطرفين المتقابلين: توسط الإمام الماتريدي من خلال قوله بالاختيار، والذي ينتهي إلى: نسبة الفعل إلى الله خلقًا وإبداعًا، ونسبته إلى الإنسان اختيارًا [٣١١:٦].

ثانيًا: منهج الماتريدية العقدى

اتخذ الماتريدية في العقائد منهجًا وسطًا، يقوم على الجمع بين النقل والعقل، لكن يبقى النقل هو المقَدَّم والحاكم؛ لأن العقل لما كان عرضة للزلل والخطأ كان للنقل دور الحافظ للعقل من الزلل والشطط.

فلا غنى ـ عند الماتريدية ـ عن النقل والعقل معًا؛ فإن النقل يتوقف في فهمه وتطبيقه على العقل، والعقل ـ مهما بلغت قدراته ـ قاصر، محدود، عاجز عن إدراك الحكم الإلهية، فلابد من وجود مرشدٍ هادٍ، وهوالرسول الذي يجبر كسر العقول، ومن استغنى بعقله عن الرسالة فقد ظلمه، وحمَّله ما لا يحتمل [٦٧١:٩].

ويعبر عن هذا المنهج الجامع بين العقل والنقل الإمام محمد عبده بعبارة رائقة فيقول: «والذى علينا اعتقاده أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد لا تفريق في القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك فنزعات شياطين وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كلٍ بعمله، قاضٍ عليه في صوابه وخطئه».

ولكننا نلحظ أن الماتريدية توسعوا أكثر في المنهج العقلي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى البيئة التي ظهرت فيها الماتريدية، فقد نشأت في بلاد ما وراء النهرالملاصقة لبلاد فارس، وخراسان، والتي كانت تعج بكافة التيارات الفكرية، والثقافات العقلية [٨٧١:٧].

ثالثًا: عقيدة الماتريدية إجمالًا.

يلتقي الماتريدية مع الأشعرية في عامة قضايا العقيدة، والخلاف بين الفريقين خلاف معدود في تفاريع لايجري فيها تبديع، يقول البياضي:» وما وقع بين أهل السنة من المخالفات، فتلك في التفاريع؛ لأن مذهبهم: أَخْذُ الأصول الدينية من محكمات الكتاب، ومشهورات السنة، وإجماع سلف الأمة، والتأييد بالأدلة العقلية» [٢٥:٣].

ونتيجةً لما سبق أقول :

١. لقد وافق الماتريدية عامة أهل السنة في أصول العقائد، ففي قضية وجود الله جمعوا بين الناحيتين: التقريرية، والنقدية، فأثبتوا حدوث العالم كطريق للبرهنة على وجوده ـ تعالى ـ وبأدلة تقارب أدلة الأشعرية، فقد استدلوا على حدوث العالم بحدوث الجواهر والأعراض، وأيضًا كانت لهم مشاركات مشكورة في الرد على كل المخالفين القائلين بقدم العالم من الفلاسفة وغيرهم [٩٧١:٨].

٢. ومن قضية الوجود ينتقل الماتريدية إلى إثبات أصل العقيدة، وهو وحدانية الله، فيبرهنون على هذه القضية ببرهان التمانع المشهور، وكذلك يدعمونها بأدلة سمعية بجانب الأدلة الكونية القائمة على النظر فى الكون، وملاحظة جريانه على نظام واحد مما يدل على أن مدبره واحد.

٣. وأما عن بقية الصفات: ففيها يعلن الماتريدية اتفاقهم مع الأشعرية؛ فيثبتون لله الصفات التى أثبتوها بنفس المفاهيم والأدلة، كما أنهم يقولون بزيادة الصفات على الذات، ويقولون بأن صفات الله ليست هي هو بحسب المفهوم الذهني، وليست هي غيره بحسب الوجود الخارجي.

ومع تطرق الماتريدية لبعض المباحث العميقة المتعلقة بالصفات، إلا أن الروح العامة المسيطرة على مذهبهم في الصفات هي التسليم المطلق بالصفات التي جاء بها القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإقامة الأدلة عليها، مع الإيمان بأن الدلالة اللغوية لألفاظ الصفات على معانيها في حق الله لا تماثل دلالتها على معانيها في حق المخلوقات، وإطلاق الأوصاف على الله إنما هو بحسب ما تتحمله عقولنا، وما تسعه عباراتنا، ولا سبيل لنا إلى تجلية حقائق الصفات والذات، وبهذا يبقى الله تعالى بذاته وبصفاته بعيدًا عن التعقل [٣٩:٩؛ ٩١: ٦٣٣].

ولا يظفر الباحث على قضية خلافية ذات بال بين الفريقين في الصفات إلا في صفة التكوين، وسيأتي الحديث عنها تفصيلًا .

٤. وفيما يتعلق بأفعال العباد يقف الماتريدية معها وقفة طويلة لما لها من شأن عظيم في العقائد والعبادات، وينتهي الماتريدية إلى: أن الله خالق للفعل والإنسان فاعل مختار على الحقيقة، وهذا أمر يجده كل مكلف من نفسه، وعلى اختياره يُجَازَى، ولا مانع أن تجتمع قوتان على فعل واحد؛ لأن الجهة منفكة، فالله خالق، والعبد مختار [٣١١:٦].

٥. وإذا انتقلنا إلى مباحث النبوات وجدنا أن مخالفات الماتريدية للأشاعرة لا تكاد تُذكر، فهم يثبتون وقوع النبوة، وكونها منحةً من الله ـ تعالى ـ لمن يشاء من عباده، لا تنبني على استحقاق من المبعوث، ولا تكون لخصوصية راجعة إلى نفسه أو بدنه، ولكنهم قالوا بوجوب بعثة الرسل لكونها لطفًا وصلاحًا، والله تعالى حكيم، لا يتركها؛ لاستحالة السفه عليه تعالى، ولو شاء الله ـ تعالى ـ أن لا يرسل رسلًا: لم يرسل، ولا يُسأل عما يفعل [٥٨:٦].

٦. وكذلك كان حالهم في السمعيات الأخروية، من نحو: إثبات عذاب القبر، ونعيمه، والإيمان بأصل البعث للروح وللجسد، مع

ISSN 2181-1881

التوقف عن تعيين الكيفية، وكذا: إثبات الوزن، والحشر، والصراط، على ما جاءت النصوص، وإثبات شفاعة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم والقول بثبوت الجنة والنار، ووجودهما الآن وبقائهما أبدًا [٤١:١٦١].

٧. وأخيرًا نأتي إلى مسائل التعديل والتجوير، وهذا الباب من أكثر الأبواب التي شهدت خلافًا بين جناحي أهل السنة، ويرجع ذلك ـ فيما أرى ـ إلى اختلاف الفريقين في القاعدة التي تبنى عليها مسائل التعديل والتجوير، وهي التحسين والتقبيح، فالماتريدية ذهبوا إلى أن الحسن والقبح في الأفعال ثابتان عقلًا، و لا يعني هذا أن العقل موجب لهما، وإنما هو آلة لمعرفتهما، والموجب حقيقة هو الله تعالى، والأشاعرة يثبتونهما شرعًا [٣: ٥٧].

رابعًا: من أشهر القضايا العقدية التي عُرف بها الماتريدية:

صفة التكوين:

بعد الإجمال السابق ننتقل إلى تفصيل واحدة من أهم القضايا العقدية التي اشتهر بها المذهب الماتريدي، وهي صفة التكوين، وهي ثامنة صفات المعاني، ومن أبرز نقاط الخلاف بين جناحي أهل السنة، وجهد الماتريدية في إثبات صفة التكوين يدور حول النقاط التالية :

أ ـ مفهوم التكوين :التكوين عند الماتريدية هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، ليكون كل شيء كائنًا به وقت وجوده، على حسب علمه ـ تعالى ـ وإرادته، بغير آلة، ولا مادة، ولا زمان، ولا مكان، ويطلق على التكوين عند الماتريدية ـ كذلك ـ ألفاظ: التخليق، والترزيق، والإيجاد، والإحداث، وكلها راجعة إلى صفات الأفعال.

وتختلف أسماء التكوين باختلاف متعلقاته، فإذا تعلق بالرزق سمي ترزيقًا، وإن تعلق بالخلق سميَ تخليقًا ....إلخ، ومن بين هذه الألفاظ استعمل الماتريدية مصطلح التكوين اتباعًا للفظ القرآن الكريم، وهو لفظ (كن)، وإيثار الماتريدية لإطلاق لفظ التكوين لكونه منطوق القرآن الكريم فيه دلالة واضحة على تمسكهم بالنص، وعلى الاقتداء بشيخهم أبي منصور [٨:١٩٤؛ ١:٢٧١].

وقد أثبت الماتريدية التكوين انطلاقًا من أن القدرة عندهم لا تعني سوى صحة الفعل والترك، فالقدرة صفة صالحة للإيجاد والإعدام، وساعدهم على ذلك تعريف المتكلمين لها بأنها صفة يتأتى بها الإيجاد والإعدام على وفق العلم والإرادة، أو هي صفة تمكن المتصف بها من الفعل والترك وصحتهما عنه بحسب الدواعي.

فالقدرة ـ وفقًا لمفهومها عند المتكلمين ـ لا تعني مباشرة الأشياء بالفعل، وإنما هي تختص بجانب الصحة والصلاحية فقط، ومن ثَمَّ فلابد من إثبات صفة أخرى تختص بجانب الفعل، وهي التكوين بفروعه من خَلْق، ورَزْق، وإحياء، وإماتة، وإحداث، وصنع، وبذلك يكون التكوين أخص من القدرة مطلقًا؛ لأن القدرة متساوية النسبة إلى جميع المقدورات، أما التكوين فهو خاص بما يدخل منها إلى الوجود بالفعل [٨:١٩٤].

ب ـ قدم التكوين : أثبت الماتريدية قدم التكوين تفاديًا للزوم التغير في ذاته ـ تعالى ـ، فلو كان الله خالقًا عند توجه صفة القدرة صوب الخلق: لزم أن يكون الله ـ تعالى ـ قد استفاد هذه الصفة عند الخلق الفعلي، وهذا محال، فالله ليس بإحداثه للبرية استفاد اسم الرب، بل له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما كان الله سميعًا، بصيرًا، عالمًا، قادرًا، في الأزل، فهو كذلك خَلَّاق، رَزَّاق، فكل ما كان صفة لله كان أزليًا، والله يتعالى عن أن تُستحدث له صفات المدح [٨:٤٩٤؛ ٦:٩٦؛ ٤٢؛٥١؛ ٥:٥١].

ومن هنا رفض الماتريدية التفرقة بين صفات الذات وصفات الفعل، فكلها ثابتة لله أزلًا، يقول الإمام أبو المعين النسفي: « ونحن لا حاجة بنا إلى إثبات الفرق؛ لأنها كلها عندنا أزلية» [٨:٧٩٤].

ويؤكد على نفس المعنى العلَّامة السعد التفتازاني في شرح العقائد النسفية فيقول: « التخليق، والترزيق، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك مما أسند إلى الله ـ تعالى ـ، وكل منها راجع إلى صفة حقيقية أزلية قائمة بالذات هي التكوين، لا كما زعم الأشعري من أنها صفات للأفعال» [٤١:٨١١].

ثم جاء بدر الدين ابن بقيرة الحنفي الماتريدي (شارح كتاب بحر الكلام) لينقض أصل تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية ويعتبر الصفات كلها ذاتية؛ لأن الفعل صفة الذات أيضًا [٢:٧٥].

واستدل الماتريدية على قدم التكوين بأدلة منها :

أ ـ لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا، وهو محال؛ لأنه إن كان حادثًا: فإما أن يكون حادثًا في محل سوى ذات الله، أو يكون حادثًا في ذاته تعالى، أو يكون حادثًا لا في محل، والكل باطل، فبطل القول بحدوث التكوين، وثبت نقيضه، وهو كونه قديمًا [٨:٩٣٥].

ب ـ الله ـ تعالى ـ مدح نفسه أزلًا بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر ٤٢] ، ووصف نفسه بما ليس له من المحامد كذب في خبره ـ تعالى ـ، أو العدول عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة، وهو محال [٨:٥٧٥؛ ٤١:٩٢١].

ج ـ لو كان التكوين حادثًا لزم القول بتكوين آخرحادث، ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية، فلا يوجد العالم، وهو باطل بالمشاهدة.

د ـ لا يلزم من قدم التكوين قدم المكَوَّن، ولا من حدوث المكَوَّن حدوث التكوين؛ لأن التكوين هو الصفة الأزلية التي هي مبدأ الأفعال، أما الحادث فهو تعلق التكوين بالمكونات، فالتكوين يطلق على الصفة النفسية التي هي مبدأ الأفعال، وعلى تعلق الصفة النفسية بالمكَوَّن، والذي تقول الماتريدية بقدمه: الصفة، لا التعلق [٥٢:٨١؛ ٢:٨٥].

هـ ـ إجماع الأمة، وإطباق العقل والنقل على أن الخالق هو الله، وإذا ثبت كون الخلق صفة لله ثبت كونه قديمًا؛ لأن صفاته كلها قديمة، لا يوصف منها شيء بالحدوث [١:١٤].

وهكذا: فالقول بقدم التكوين أصل مقرر عند الماتريدية، ولعل القول بقدم التكوين عند الماتريدية يرجع إلى الأصل العام عند أئمة

E-ISSN 2181-189X

أهل السنة الأوائل قبل الأشاعرة والماتريدية، وهو القول بقدم الصفات مطلقًا؛ فقد كان هذا القول مذهب (عبد الله بن سعيد القطّان) المعروف بـ(ابن كُلّاب) المتوفى سنة ٢٤٠ هـ، و(أبي العباس إبراهيم بن عبد الله الزبيدي القلانسي) المتوفى سنة ٩٥٣ هـ (٠٤٣:٩١).

وقد رتّب الملا على القاري على القطع بقدم التكوين الحكم بتكفير من قال بحدوث صفاته ـ تعالى ـ أو شك في قدمها، وعلى هذا فمن قال بحدوث التكوين، أو شك في قدمها فهو كافر (٥٢:٥١).

ج ـ التكوين غير المكون : بذل الماتريدية جهدًا كبيرًا في إثبات أن التكوين أمرٌ ثالث غير المكَوِّن (الفاعل)، والمكَوَّن (المفعول)، بل هو صفة ذاتية قائمة بذاته تعالى، خلافًا للأشعري الذي قال بأن التكوين عين المكون، وقالت المعتزلة بأنه قائم لا في محل، وقالت الكرامية التكوين حادث قائم بذاته تعالى [٨٦:٤؛ ٩١:٦٢].

ـ ويدل على مغايرة التكوين للمكون قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠]، فالله عبر عن التكوين بـ(كن)، وعن المكون بـ (فيكون)، وأيضًا تَكَوُّن ووجود المخلوقات بخطاب (كن) يدل على المغايرة، فلو كان هذا الخطاب مخلوقًا لاحتاج إلى آخر، ويتسلسل الأمر إلى ما لا نهاية، وهذا محال، فثبت أن صفة التكوين قديمة، والمكون بها حادث والقديم مغاير للحادث.

وأما قوله تعالى:﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان ١١]، فلا يفيد اتحاد الخلق والمخلوق؛ لأن خَلْق هنا بمعنى مخلوق؛ فقد أقيم المصدر مقام اسم المفعول مجازًا، أو أن استعمال المصدر مكان اسم المفعول مشهور، فلا يكون مجازًا، بل هو مُغَيَّر عن أصله، فيستعمل على حقيقته، ويفهم منه اسم المفعول [٥٠٥:٨، ٦٠٥].

ومما سبق نلحظ أن قول الماتريدية بقدم التكوين مع حدوث المكَوَّن، وإثبات المغايرة بينهما لا يخلو من نزعة دفاعية نقدية، فقد تصدوا من خلاله لدفع مقالة الكرّامية والحَشَوية الذين جوزوا قيام الحوادث بذاته تعالى، وذلك من خلال تأكيدهم على أن أصل التكوين قديم، والحادث هو تعلق الصفة بالمكَوَّنات الحادثة على جهة التنجيز الفعلي فيما لا يزال [٢٢:١٢].

د ـ مغايرة التكوين للقدرة: وهذه إحدى الدعائم التي اعتمد عليها الماتريدية في إثبات التكوين (ثامنة صفات المعاني) من ناحية، وهي إحدى دفاعات الماتريدية عن سلامة رأيهم من ناحية أخرى؛ إذ إن هذه المغايرة هي التي واجه بها الماتريدية اعتراض الأشعرية الذي أذاعه وأشاعه الإمام فخر الدين الرازي على الماتريدية في إثباتهم لصفة التكوين مدعيًا عدم الحاجة إليها؛ فقد رأى الأشعرية أنَّ في صفة القدرة غُنْيَةً عن التكوين، فإن كان المراد من التكوين أنه صفة مؤثرة فهو عين القدرة، وأن كان المراد منه نفس مؤثرية القدرة فهو أمر نسبي لا حقيقة له، ولا يوجد إلا عند وجود المكَوَّن، فيلزم أن يكون حادثًا.

وأيضًا : فإن صفة التكوين إن كانت مؤثرة على سبيل الصحة لم تتميز عن القدرة؛ فإن لها تعلقًا صلوحيًا قديمًا، وإن كانت صفة التكوين مؤثرة على سبيل الوجوب: لزم أن يكون الله تعالى موجبًا بالذات لا فاعلًا بالقدرة والاختيار، وهذا محال [٧١٢:٣؛ ٢٤:٠١].

وقد أجاب الماتريدية على هذا الاعتراض ببيان أن التكوين له جهتان :

الأولى: جهة الجواز: وذلك بالنظر إلى كمال قدرة الله ـ تعالى ـ وإرادته، فهو ـ سبحانه ـ إن شاء خلق، وإن لم يشأ لم يخلق.

الثانية: جهة الوجوب: وذلك بالنظر إلى تعلقها بالمخلوق، فمتى تعلقت قدرة الله وإرادته بإيجاد مخلوق ما على صفة بعينها، وجب وجوده كما أراد، وإلا لزم العجز [٧١٢:٣؛ ٧١:٦٢-٨١].

وعلى الجانب المقابل يرى الأشعرية أن التكوين هو تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة؛ ففي إثبات القدرة ما يغني عن التكوين تفاديًا لتكثير الصفات بلا فائدة، كما رأوا أن إثبات التكوين يستدعي القول بقدم المكَوَّن، وهذا تصريح بقدم العالم، وهو محال [٧٢١:٧١؛ ٥٢:١٢].

ومذهب الأشاعرة ـ فيما أرى ـ هو الأولى بالقبول؛ ولذلك رجّحه العلماء، بل إن العلّامة(كمال الدين بن الهمام) الماتريدي مال إلى مذهب الأشعرية، يقول في المسايرة بعد ما ذكر فروع التكوين:» فادعى الحنفية من عهد أبي منصور أنها صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة، وليس في كلام أبي حنيفة والمتقدمين تصريح بذلك»، ثم أخذ ابن الهمام يوضح رجوع التكوين إلى تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة [٢٢: ١٩-٢٩].

وقد تعقب ابن الهمام بالرد (ابن قطلوبغا) الحنفي في حاشيته على المسايرة، والملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر، وأثبت كلاهما أن التكوين صفة قديمة مستقلة عن القدرة، وقد صرح أبو حنيفة بها بقوله: « والتخليق صفة في الأزل ...، والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله ...، والمفعول مخلوق»، وقد أبدى علي القاري عجبه من غفلة ابن الهمام عن هذه العبارة [٤٢:٥١].

ومهما يكن من أمر: فالخلاف بين الأشعرية والماتريدية في التكوين آيل إلى العبارات والألفاظ، وها هو الإمام الغزالي يجعل الخلاف بين الفريقين اعتباريًا مستعينًا بفكرة القوة، والفعل، فالقدرة هي الصلاحية للخلق، وهي مرحلة القوة والإمكان، بينما التكوين يمثل جانب الفعل، فالسيف في الغمد قاطع، وعند مباشرة الضرب قاطع، وهما إطلاقان مختلفان؛ لاختلاف الاعتبارات.

وبهذا: فقد ظهر أن من قال أنه لا يصدق في الأزل لفظ الخالق، وأراد به المعنى الثاني (التكوين) فهو محق، ومن قال يصدق في الأزل هذا الوصف، وأراد به المعنى الأول (القدرة) فهو محق، وإذا كُشف الغطاء على هذا الوجه ارتفع الخلاف [٨٧:٥].

ISSN 2181-1881

وبعد: فمن خلال هذه المقالة الموجزة عن العقيدة الماتريدية يمكننا أن نقرر في اطمئنان: أن الماتريدية شعبة سُنِّيَّةٌ، لها منهج أصيل مبتكر، فهم لم يركنوا للعقل مطلقًا كما فعلت المعتزلة، ولم يحملوا النصوص النصوص على ظاهرها كما فعلت الحَشَوية، بل سلكوا السبيل الوسط، فشيدوا مدرسةً سُنِّيَّةً قائمة على الجمع بين العقل والنقل في نسيج منسجم متوازن، يُمْنَحُ فيه النص القدسية اللائقة به، ويُعْطَى فيه العقل دوره في حدود قدراته، وبهذا فقد استخدم الماتريدية العقل والنقل من غير شططٍ أو مبالغةٍ.

أهم المصادر والمراجع

١. أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية، د/ بلقاسم الغالي، دار التركي للنشر، تونس، ط ثالثة ١٩٨٩.

٢. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة مرتضى الزبيدي، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط أولى ١٩٩٤ .

٣. إشارات المرام للبياضي، ط الحلبي ١٩٤٩

٤. أصول الدين لأبي اليسرالبزدوي، تحقيق: هانز بيتر لينس ، ط الأزهرية للتراث.

٥. الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، ط الحلبي.

٦. البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين للإمام نور الدين الصابوني، تحقيق د/ فتح الله خليف، ط دار المعارف ١٩٦٩

٧. تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربي.

٨. تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي، تحقيق: د/ السيد محمد الأنورحامد عيسى، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، ط أولى ٢٠١٠

٩. التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د/فتح الله خليف، طبعة دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.

١٠. الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ط للعلامة الحسن بن عبد المحسن المعروف بـ(ابن أبي عذبة)، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٢٢ هـ.

١١. السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور لتاج الدين السبكي، تحقيق د/ مصطفى صائم يبرم ط أولى ٢٠١١، أنقرة . تركيا.

١٣. شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد المعتزلي، تحقيق: د/عبد الكريم عثمان، طبعة مكتبة وهبة القاهرة.

١٤. شرح العقائد النسفية للعلَّامة سعد الدين التفتازاني، طبعة كردستان العلمية ١٣٢٩، ومعه مجموعة الحواشي البهية.

١٥. شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري، ط مصطفى الحلبي، ط ثانية الحلبي ١٩٥٥

١٦. شرح المعالم لابن التلمساني، تحقيق: د/عواد محمود عواد، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، ط أولى ٢٠١١.

١٧ . شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، طبعة دار الكتب العلمية، ط أولى ٢٠٠١

١٨. الصحائف الإلهية، تحقيق: د/أحمد عبد الرحمن الشريف، ط الرياض .

١٩. العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها، د / محمد عبد الستار نصار، طبعة دار الطباعة المحمدية، ط ثانية ١٩٨٩.

٢٠. غاية المرام في شرح بحر الكلام لبدر الدين حسن بن أحمد، المقدسي، الحنفي، المعروف بـ(ابن بقيرة)، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم (٣٢١) علم كلام.

٢١. مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية لابن كمال باشا، تحقيق: سعيد فودة، ط أولى ٢٠٠٩ ، دارالفتح للنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية .

٢٢. المسامرة لابن أبي شريف الحنفي بشرح المسايرة لابن الهمام ، وبهامشه حاشية ابن قطلوبغا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ٢٠٠٢

٢٣. مقالات الإسلاميين للشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة النهضة المصرية.

٢٤. مقالات في التجديد ، طبعة الأزهر الشريف .

٢٥. نظم الفرائد وجمع الفوائد لشيخ زادة، المطبعة الأدبية بالقاهرة، ط أولى ١٣١٧هـ

٢٦. هوامش على الاقتصاد في الاعتقاد ، أد/ محمد عبد الفضيل القوصي، دار الطباعة المحمدية، الطبعة ثانية ١٩٩٧.

والله ولي التوفيق،،،

E-ISSN 2181-189X